حديث الشهر يكتبه: رئيس التحرير

رؤية حول جولة سمو ولي العهد

سموه في زيارة سابقة للولايات المتحدة

تكتسب جولة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني التي بدأها بالمغرب الشقيق وستشمل أيضا كلا من الجزائر وتونس.. تكتسب أهمية كبيرة، خصوصا أنها حلقة في سياق حلقات جولات سموه التي بدأت بالجولة التأريخية في مايو ١٩٩٨م، وشملت سبع دول هي فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة، واليابان والصين وكوريا الجنوبية والباكستان، ثم الجولة الثانية التي قام بها سموه في مطلع هذا العام إلى كل من جنوب أفريقيا وإيطاليا وليبيا وسوريا والاردن ومصر وهاهي الجولة الثالثة لثلاث دول عربية، لها وزنها الكبير، سواء في محيطها الإقليمي المغاربي، أم العربي الاسلامي، أم الدولي.

وإذا كانت هذه الجولات قد واكبها صدى إعلامي واسع.. وكتب الكثير من المحللين والراصدين حول أهميتها الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ودورها في تشكيل رؤية واضحة وواعية نحو المتغيرات على مختلف المستويات والصعد، التي يشهدها العالم اليوم، فان هذه الجولات سوف تحتاج إلى المزيد من التحليل والدراسة، وربما الانتظار والروية، لإدراك مدى ما أسهمت به من إيجابيات وما أحدثته من فرص، في خلق المناخ الافضل لنمو العلاقات وتبادل المصالح المشتركة، وترسيخ قيم ثابتة وواضحة للانطلاق للمستقبل، بناء على قراءة واعية للواقع، وتعامل إيجابي مع متغيرات العصر ومستجداته.

إن من الواضح أن خطابا سياسيا، له خصوصيته وله حضوره، وله مفرداته التي تميزه وتنبئ عنه، خطاباً يتشكل ويتبلور وله ملامحه وسماته، هذا الخطاب في الحقيقة ليس جديدا، وليس أمراً طارئاً في النهج والمواقف، فالمعروف أن المملكة طوال تاريخها السياسي، كانت لها ثوابتها التي برهنت الأيام والسنون سلامتها ونجاحها.. طوال

سموه في زيارة سابقة المملكة المتحدة

تاريخها، لها خطابها المعتمد على تلك الثوابت، وعلى القيم التي تشغل رؤية المملكة في كل نواحي الحياة.. هذا الخطاب الذي كانت أهم ملامحه المصداقية، والروية، والعمق، والتفاعل الواعي مع الآخر.

لكن ما يمكن أن يستطيع المحلل والراصد أن يخرج به مما يتبلور من خلال هذه الجولات، وما يدعمها أيضا من سياسات ومن تعامل المملكة مع الأحداث خلال الخمس السنوات الأخيرة، خصوصا أحداث المنطقة وما تعرضت له من المتغيرات الاقتصادية والاستراتيجية الكبرى، هو أننا بدأنا ندرك الفاعلية الأكثر للخطاب السياسي الاستراتيجي للمملكة، وأن التعامل مع الأحداث بعمق، والفهم القائم على حقائق الواقع والفرضيات الصحيحة للمستقبل ليس معناه الانفعال العاطفي مع انعكاسات ما يفعله الآخرون.. فالمبادرة، والإيجابية والشفافية، وإدراك المصالح المشتركة، للغير، وللمملكة، بموضوعية هو تأكيد لرؤية المملكة على مدى تاريخها، وهو الذي يكشف عنه سمو ولي العهد خلال جولاته بشكل أكثر وضوحاً، وبخطاب أقوى صوتاً، وأكثر فصاحة وبياناً.. وهذا النجاح هو ما يتناسب وما يطبع العالم من شفافية كاملة وهو يستعد لاقتحام القرن القادم في ظل العولمة، ونظام عالمي جديد، وفي ظل مخاوف من اضمحلال سيادة الدولة داخل حدودها، وتهديد ثقافات الشعوب وخصوصياتها، في ظل هذه الثقافة الكونية، وهيمنة النظام العالمي الجديد.

إن الانتظار، والسلبية في مواجهة المتغيرات مهما عظمت، ومهما كانت تحمل في طياتها من توقعات مخاطر المجهول والتنبؤات غير المتفائلة.. ليس إلا أسلوب الضعفاء والمستكينين، الذين يتركون لصدف الأيام والسنين أن تضعهم حيث يكونون، لكن الفعل، والمبادرة، والإيجابية، والتفاعل الواعي، والانطلاق من الثوابت والقيم والمقومات الأساسية للأمة.. هو الطريق الذي يجعلنا نبني للأجيال مستقبلها.. ويجعلنا نختار الموقع الذي يجب أن نحتله ويكون لائقاً بنا وفي مستوى هذا الوطن.. وهذه الأمة..

الكل يتذكر ماكان يعصف بالأمتين العربية والإسلامية من متغيرات ورياح تهب هنا وهنا.. وما كانت تتعرض له دول المنطقة من المخاوف والزوابع، لقد كان عصر المد اليساري، وكان عصر الانقلابات، وكانت فترة الحرب الباردة، وتداعياتها، وبقايا فلول الاستعمار، وعنفوان بداية الدولة الصهيونية في فلسطين، كان عصر القلق الفكري .. والايدلوجي وعصر تناحر الأحزاب، ومع هذا مضت المملكة بخطى ثابتة وبوعي شامل.. وبثقة بالمبادئ وبالقيم، مضت في سياستها الخارجية والداخلية، وفي سياستها التنموية، مستقلة متميزة محافظة على خصوصيتها، ومدركة لمصالحها وواجباتها تجاه الآخرين.

وكلنا يتذكر الجولات المتعددة التي كان يقوم بها الملك فيصل - رحمه الله - وما أحدثته من أثر في الفهم والتفهم، مما أنعكس على تعزيز مكانة المملكة.. وبروز دورها ككيان مستقر قادر على أن يفعل ويؤثر. وحققت لنفسها ولشعبها الأمان والرخاء والاستقرار.. وأصبحت مضرب المثل في التفاعل الأمثل مع الظروف والمستجدات..

إذن فإن الخطاب السياسي للمملكة منذ عهد المؤسس وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله... وسمو ولي عهده الأمين، كان خطابا عقلانياً، يوازن بين المصالح والواقع والواجبات.. يحافظ على المبادئ والثوابت ويتفاعل بوعي ورؤية عميقة على المستجدات والمتغيرات.. وهو ما نراه في الإنجازات والنجاحات التي تحققت من جولات سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - التوازن.. والرؤية بعمق، والوضوح.. واستباق الزمن في استيعاب معطيات الحضارة والمتغيرات..